

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَمْوَالُ الْعَامَّةُ مَسْؤُلَيَّةٌ وَآمَانَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ وَبَاسِطِ الرِّزْقِ، هُوَ أَغْنَى وَأَفْنَى، وَمَنْعَ وَأَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمَّى، ﴿اللَّهُ يَسْعِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، وَأَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ الْمَالَ قِوَامَ الْحَيَاةِ، وَوَعَدَ مَنْ أَدَى حَقَّهُ فِيهِ بِالْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، نَهَى عَنِ الضرَّ وَالضَّرَّارِ، وَعَلَى اللَّهِ الْأَمْنَاءُ الْأَطْهَارُ، وَصَحَابَتِهِ الصَّادِقِينَ الْأَخِيَّارُ، وَعَلَى اتِّبَاعِهِمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارُ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَانْتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ التَّقْوَى، وَرَاقِبُوهُ فِي الْعَلَانِ وَالسُّرُّ وَالنَّجْوَى؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ زَادٍ، وَسَلَامَةً فِي الدُّنْيَا وَالْمَعَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَزُّدُوا فَإِنَّكُمْ خَيْرٌ أَلَّا يَرَوُنَّ وَأَنَّقُونَ يَتَأْوِلُ إِلَّا لَبَبِ﴾^(٢)، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْمَالَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمِنْهُ مِنَ اللَّهِ كُبْرَى، بِهِ تُقْضَى مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَلَّ أَنْ تَجِدَ عِبَادَةً لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَالٍ لِإِقَامَتِهَا، فَعِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ تَحْتَاجُ إِلَى الْمَالِ، وَكَذَا الزَّكَاةُ وَالْحَجُّ، وَالصَّائمُ يَحْتَاجُ إِلَى مَالٍ لِفَطُورِهِ وَسَحْوْرِهِ، وَخَيْرُ صِلَةِ الْأَرْحَامِ مَا تَضَمَّنَتْ عَطَيَّةً، وَأَفْضَلُ مَا يُؤْلِفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ الْهَدِيَّةُ، فَالْمَالُ عَصَبُ الْحَيَاةِ وَزِينَتُهَا، وَقِوَامُهَا وَمَادَتُهَا، وَبِهِ تَقْوُمُ لِلْبَشَرِيَّةِ مَصَالِحُهَا، فَالنَّاسُ إِلَى تَمْلِكِهِ مُحْتَاجُونَ، وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِتَحْقِيقِ حَوَائِجِهِمْ وَضَمَانِ مَعَاشِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، وَالْمَالُ مِنَ الضرُورَاتِ الْخَمْسِ الَّتِي جَاءَ الإِسْلَامُ بِحِفْظِهَا، وَهِيَ الدِّينُ وَالنَّفْسُ وَالْعَقْلُ وَالْمَالُ

(١) سورة العنكبوت / ٦١ .

(٢) سورة البقرة / ١٩٧ .

(٣) سورة الكهف / ٤٦ .

والنَّسْلُ، وَقَدْ جَعَلَتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ حَفْظَ الْمَالِ مَقْصِدًا مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرْعِ الضرَّوريَّةِ، فَحَتَّى الإِسْلَامُ عَلَى تَتْمِيَّتِهِ، تَتْمِيَّةً تَقْرَنُ بِأَدَاءِ حَقِّهِ وَتَزْكِيَّتِهِ، فَقُوَّةُ الْمَالِ لَا تَتَحْقَقُ إِلَّا بِحِمَائِتِهِ ثُمَّ تَتْمِيَّتِهِ، لِيُؤْدِي مُهِمَّتَهُ فِي مُسَاعَدَةِ الإِنْسَانِ وَتَحْقِيقِ مَصَالِحِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾^(١)، وَأَمَّا ثَقَافَةُ الْأَسْتِهْلَاكِ الْقَائِمَةُ عَلَى الْأَخْذِ بِلَا عَطَاءِ، وَالتَّتَّعُّمُ بِلَا عَنَاءِ، فَإِنَّهَا ثَقَافَةٌ لَا تَتَسَجِّمُ مَعَ تَعَالِيمِ الإِسْلَامِ، وَلَا تَتوَافَقُ مَعَ مَبَادِئِهِ الْعَظَامِ، فَعَنْ أَنَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَطَاءً؛ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ : ((أَمَا فِي بَيْنِكَ شَيْءٌ؟)) قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ - أَيْ ثَوْبٌ - نَلْبَسُ بَعْضَهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشَرَبُ فِيهِ، قَالَ : ((إِنِّي بِهِمَا))، فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخْذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هَذِينِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخْذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ : ((مَنْ يَرِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟)) مَرَّتِينِ أَوْ ثَلَاثَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخْذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ فَأَخْذَ الدِّرْهَمَيْنِ، وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ لَهُ: ((اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلَكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا - أَيْ فَأْسًا - فَانْتِي بِهِ))، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((إِذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرِينَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا))، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً سُوْدَاءً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، هَكَذَا يُعْلَمُنَا الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ رَأْسَ الْمَالِ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا، إِلَّا أَنَّ تَتَمِّيَرَهُ بِإِنْقَانٍ وَإِخْلَاصٍ يُنْتَجُ خَيْرًا كَثِيرًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ أَمَرَ الإِسْلَامُ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ بِصَوْنِهَا وَحْفَظِهَا، وَالْحَرْمُ فِي ذَلِكَ وَدَمِ إِهْمَالِهَا،

فَشَرَعَ تَوْثِيقَ الْمُبَايَعَاتِ وَالدِّيُونِ بِالْكِتَابَةِ أَوِ الإِشَهَادِ، وَجَاءَتْ أَطْوَلُ آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَشْرِيعِ طُرُقِ حِفْظِ الْأَمْوَالِ وَتَوْثِيقِ الْمُبَايَعَاتِ وَالدِّيُونِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا إِذَا تَدَائِنُتُم بِدِينِ إِلَهِ أَجْلٍ مُسْكَنٍ فَأَكْتُبُهُ وَلَيَكُتبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^(١)، فَلَمْ يَكُلِ الشَّرْعُ حِفْظَ الْأَمْوَالِ إِلَى حِرْصِ النَّاسِ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُعَوِّلْ فِي ذَلِكَ عَلَى التَّقْتَةِ الَّتِي يَجِدُونَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، بَلْ جَعَلَ لِحْفَظِهَا ضَمَانَاتٍ أُخْرَى هِيَ التَّوْثِيقُ بِالْكِتَابَةِ أَوِ الإِشَهَادِ، وَالإِسْلَامُ مَعَ إِقْرَارِهِ حَقَّ الْفَرْدِ فِي التَّمْكُكِ وَالتَّصْرِفِ فِي مَالِهِ، لَكِنَّهُ حِفْظًا لِلْمَالِ يُوجِبُ الْحَاجَرَ عَلَى السَّفِيهِ، يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا

السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيمًا وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوْهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢)، فَهُوَ حَاجْرٌ لِمَصْنُلَحَتِهِمْ، وَحَفْظٌ لِأَمْوَالِهِمْ، وَمَنْ عِنَيَةُ الْإِسْلَامِ بِالْمَالِ الْأَمْرُ بِالْحُسْنَى تَدْوِيرِهِ، وَالْاِقْتِصَادُ فِيهِ وَعَدَمُ تَبْذِيرِهِ، فَحَرَّمَ الْإِسْلَامُ تَضْيِيعَ الْمَالِ فِيمَا لَا يَنْفَعُ، وَسَمَاهُ إِسْرَافًا وَتَبْذِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾^(٣)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَءَاتِيَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَنِ وَكَانَ الشَّيْطَنُ لِرَبِّهِ كُفُورًا﴾^(٤).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنَ الْأَمَانَةِ فِي تَدْوِيرِ رَأْسِ الْمَالِ إِتَاحَةُ الْفُرْصَةِ لِلْمُحْتَاجِينَ وَالْفَقَرَاءِ، وَإِفْسَاحُ الْمَجَالِ لِلْبَاحِثِينَ عَنِ الْعَمَلِ وَالضُّعَفَاءِ، فَإِنَّ لَهُمْ حَقًا فِي الْعَمَلِ فِي الْمَالِ مُتَاجِرَةً وَمَرَابِحةً، إِنَّ الْإِسْلَامَ يُقْرِئُ سُنَّةَ التَّقَاوُتِ فِي الْمُسْتَوَياتِ الْمَادِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ يُنْكِرُ الْجَشَعَ وَالْأَنَانِيَّةَ، فَاللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَجَعَلَهُمْ مُمْتَاقِوْتِينَ فِي عُقُولِهِمْ وَقُدْرَاتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى:

(١) سورة البقرة / ٢٨٢.

(٢) سورة النساء / ٥.

(٣) سورة الفرقان / ٦٧.

(٤) سورة الإسراء / ٢٦-٢٧.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتِ لِتَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيَاً﴾^(١)، وَالتَّسْخِيرُ الْمَقْصُودُ هُوَ الَّذِي تَدْفَعُ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ وَتَقُومُ بِهِ الْمَصَالِحُ، وَهَذَا تَأْتِي ضَوَابطُ الْكَسْبِ فِي الْإِسْلَامِ لِتَضْمِنَ لِلْجَمِيعِ حَقَّ الْوُصُولِ إِلَى الْمَالِ وَالْاِكْتِسَابِ، وَتَمْنَعَ أَنْ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ، فَيَزِدَ الدَّادُ الْغَنِيُّ غَنِيًّا وَالْفَقِيرُ فَقْرًا، قَالَ تَعَالَى : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَمَّى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّيِّلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، وَأَوْصَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَحَدَ وُلَاتِهِ فَقَالَ : ((إِنَّ اللَّهَ اسْتَخْلَفَنَا عَلَى عِبَادِهِ لِنَسْدُّ جَوْعَتَهُمْ، وَنَسْتُرَ عَوْرَتَهُمْ، وَنُوَفِّ لَهُمْ حِرْفَتَهُمْ، فَإِذَا أَعْطَيْنَاهُمْ هَذِهِ النِّعَمَ نَقَاضِيَنَا شُكْرَهَا، يَا هَذَا إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَيْدِي لِتَعْمَلَ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ فِي الطَّاعَةِ عَمَلاً التَّمَسْتِ فِي الْمَعْصِيَةِ أَعْمَالًا، فَاشْغَلُهَا بِالْطَّاعَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْغُلَكَ بِالْمَعْصِيَةِ)) ، لَقَدْ جَاءَ هَذَا التَّقْنِينُ حَفْظًا لِلْمَالِ، وَحَفْظًا لِكَرَامَةِ النَّفْسِ أَنْ تُدْنِسَهَا خَسِيسَةُ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ، فَمَنْ جَدَ وَجَدَ، وَمَنْ زَرَعَ حَصَدَ، وَأَمَّا الْمُتَكَاسِلُ عَنِ الْكَسْبِ، الرَّاغِبُ فِي الْمَالِ دُونَ تَعَبٍ، فَإِنَّهُ إِنْ تَطَاوَلَ عَلَى مَالِ غَيْرِهِ وَقَفَ الْجَمِيعُ فِي وَجْهِهِ وَقْفَةً صَارِمَةً، فَنُصُوصُ الشَّرِيعَةِ فِي مِثْلِهِ حَازِمَةٌ، قَالَ تَعَالَى : ﴿يَتَأْمِلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَ يَمْنَى كُمْ بِالْبَنْطِيلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرِيَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٣)، وَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالدِّفَاعِ عَنِ الْمَالِ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يُدَافِعُ عَنْ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((مَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْسِنُوا كَسْبَ أَمْوَالِكُمْ وَإِنْفَاقَهَا، وَحَفْظَهَا وَرَعَايَتِهَا، وَأَدُوا أَمَانَتَكُمْ فِيهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِي رَبَّكُمْ؛ تَسْعَدُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ.

(١) سورة الزخرف / ٣٢ .

(٢) سورة الحشر / ٧ .

(٣) سورة النساء / ٣٠-٢٩ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوكُمْ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِحَفْظِ الْأَمْوَالِ، وَحَذَرَ مِنِ الاعْتِدَاءِ عَلَيْهَا بِالسَّرْقَةِ وَضُرُوبِ الْاِحْتِيَالِ، وَنَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُ الصَّالِحِينَ، وَنَشَهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الصَّادِقَ الْأَمِينَ، صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحِبِهِ وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَةِ اللهِ:

إِنَّ الْمَالَ أَمَانَةٌ لَا تَقْتَصِرُ مَسْؤُلِيَّتُهَا عَلَى أَصْحَابِهَا، بلِ الْجَمِيعِ مُطَالِبٌ بِحِفْظِهَا وَعَدَمِ الاعْتِدَاءِ عَلَيْهَا، وَالْمُتَدَبِّرُ فِي نُصُوصِ الْوَحْيِ الْكَرِيمِ، يَجِدُ الْأَمْرَ بِحِفْظِ الْأَمْوَالِ مِنْ تَوْجِيهَاتِ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ، فَهَتَّى الْلُّقْطَةُ الَّتِي تَضِيَعُ مِنْ صَاحِبِهَا، يُرَتِّبُ الْشَّرْعُ التِّزَارَاماً عَلَى وَاجِدِهَا، عَلَى وَفْقِ نِظَامٍ يُهَذِّبُ النَّفْسَ وَيُزَكِّيَّهَا، وَيُقْوِيَ رَوَابِطَ الْمُجَمَعِ وَيُنَمِّيَّهَا، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَمَّا يُلْتَقِطُهُ، فَقَالَ ﷺ : ((عَرَفْهَا سَنَةً، ثُمَّ احْفَظْ عَفَاصَهَا وَوَكَاءَهَا، فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِهَا وَإِلَّا فَاسْتَفْقِهَا))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَضَالَةُ الْغَنَمِ؟ قَالَ ﷺ : ((هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِذَنْبِكِ))، قَالَ: فَضَالَةُ الْإِبْلِ؟ فَتَمَرَّ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ((مَا لَكَ وَلَهَا؟! مَعَهَا حِذَوْهَا وَسِقاوْهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ))، هَذَا هُوَ الْمُجَمَعُ الْمُسْلِمُ، يَتَحرَّزُ أَفْرَادُهُ مِنْ جَمِيعِ أَمْوَالِ الْآخَرِينَ حَتَّى الْمَالُ الْمَجْهُولُ صَاحِبُهُ، فَتَرَى مَنْ عَثَرَ عَلَيْهِ يَتَكَلَّفُ الْبَحْثَ عَنِ الْمَالِكِ، فَكَيْفَ يَسْتَسِيغُ السَّارِقُ بَعْدَ هَذَا اخْتِلاسِ أَمْوَالِ الْآخَرِينَ؟ أَلَا يَخْشَى مِنْ سَخْطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ وَيَشْتَدُ النَّكِيرُ عِنْدَمَا يَكُونُ الْاخْتِلاسُ مِنْ أَمْوَالِ الْضُّعْفَاءِ، لِمَا يُسَبِّبُهُ ذَلِكَ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْأَلَمِ وَالْعَنَاءِ، كَمَا

هُوَ الشَّانُ فِي أَمْوَالِ الْبَيْتَامِيِّ وَالنِّسَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجَ مَكَانٍ زَوْجَ وَإِاتَّيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَّنَا وَإِثْمًا مُّبِينًا، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخْذَنَكُمْ مِّيشَقًا غَلِيظًا﴾^(١)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْبَيْتَامِيِّ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٢)، وَيَتَضَاعِفُ الْعَقَابُ عِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالْأَمْوَالِ الْعَامَّةِ، فَإِنَّ النَّكِيرَ فِي الْاعْتِدَاءِ عَلَيْهَا جَاءَ عَظِيمًا، لَأَنَّهُ يُورِثُ الْمُجَتمَعَ خَطَرًا جَسِيمًا، فَمَنْ أَخْذَ شَيْئًا مِّنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمُ الْعَامَّةِ بِغَيْرِ عَمَلٍ يُفِيدُ مِنْهُ الْمُجَتمَعَ فَهُوَ غَاصِبٌ أَشَدُّ مِنْ غَاصِبِ مَالِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَقَدْ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ أَقْوَامًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

فَانْتَهُوا إِلَيْهِ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْتَرِزُوا مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، أَوِ الْاعْتِدَاءِ عَلَيْهَا بِأَيِّ وَسِيلَةٍ مِّنَ الْوَسَائِلِ؛ يُبَارِكِ اللَّهُ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ، وَيَجْعَلِ الْجَنَّةَ مَالَكُمْ وَقَرَارَكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلِكِكُتُهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْمِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ

(١) سورة النساء / ٢٠-٢١ .

(٢) سورة النساء / ١٠ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .

أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعِلْ جَمِيعًا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعِلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلُّاً مِنَ لِسَانِنَا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَائِشًا مُنْبِيًّا، وَعَمَالًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزِزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدِ اللَّهَ صُفُوقَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقُنَا مِنْ فِيضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعُلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْعُونَا وَكُلُّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».